ملاحظـــات

في نهاية كتابي سأجمع ما يحضرني حالياً وأقدم للقراء ملاحظات موضوعية ومحايدة لكتاب « موجز تاريخ الزمن» ومؤلفه عالم الفيزياء النظرية والكم والرياضيات الكبير ستيفن هوكنج وغيره من كتبه، وذلك من خلال عدد من الأمور أذكر منها ما يلي :

١ – المؤلف وهو متخصص في الفيزياء النظرية وميكانيكا الكم والرياضيات فكتابه يزخر بحصيلة من المعلومات في هذه الموضوعات أراه ليس فقط عرّضها وإنما أراه أيضًا أستعرض بها ومعها إمكاناته ومعتقداته في علمه بها في استعلاء واضح، ولكن بمنطق سليم دائماً وأن كان غير صحيح بالضرورة في استنتاجاته.

٢ – لا يمكننا حالياً الحكم على نظرية المؤلف في ميكانيكا الكم وبالتالي لا يمكننا الأعتماد عليها أو الأخذ بنتائجها وإستنتاجاتها لأنها لا تعطينا إلا الأحتمالات للافتراضات التي تفترضها . ولأن فيها العديد من الأمور غير الحقيقية أو الواقعية في أفكارها التي تنبني - كما يقول هو نفسه – على بعض التخيلات ولأفتراضات والتصورات الوهمية من مثل الزمان التخيلي والأعداد التخيلية والتواريخ المتعددة للكون وليس التاريخ الواحد، والتوسع غير المنضبط أو المُحدَّد في مبدأ (عدم التيقن) (Uncertenty Principle) .

٣– ومن تجاوزات النظرية أيضاً تناولها لمواضيع لا تستند إلى اليقين العلمي أو الثابت من قوانين العلم وإنما قال بها نظرياً أفراد علماء غير مؤمنين بصحيح الأديان ولا بصحيح مفاهيمها في المجالات الكونية والطبيعية والإنسانية وقد جاء خاتم الكتب السماوية بالحقائق الكلية في تلك الموضوعات إجمالا أحيانا

وتفصيلا أحيانا أخرى وبعموميات أحيانا وخصوصيات أحيانا أخرى فيما تناولـه في آياته أو يما تركه لأجتهاد الإنسان والعلماء بالعقل والبصر والبصيرة ليصلوا إلى الحق فيه بالإيمن والمعرفة والعلم دون تعصب ودون إنكار للحق.

٤ – يعتبر المؤلف أن ميكانيكا الكم في مضمونها الحقيقي لديها رؤية مختلفـة عن الحقيقة (Reality) ولذلك قالت بتعـدد التـواريخ لا بالتـاريخ الواحـد للشـئ (object) وتعتبر طبيعة الزمان مثال لمنطقة تكون فيها نظرياتنـا الفيزيائيـة مُحـددة لمفهومنا عن الحقيقة . وجدير بالذكر أن أينشتاين سبق وتنـاول مفهـوم الحقيقـة فيما نراه في وجودنا الطبيعـي لكـن كتـاب « مـوجز تـاريخ الـزمن» لم يشـرإليها أو يتناولها منسوبة إلى إينشتاين وكمـا يقـول هـوكنج نفسـه فـإن التـواريخ المتعـددة موجودة في الخيال العلمـي (Science Fiction) وإن كانـت ليسـت مـن الخيـال العلمي فهي تصنع أشكال (Shapes) للكون الذي نعيش فيـه وتفتـرض وحـدد أكوان أخرى موازية لكوننا وقد تكـون خماسـية الأبعـاد فمـا يصـفه (aquantum Superposition).

٥ – العلم (Science) لا يفسـر لنـا لمـاذا كـان الكـون كمـا كـان عليـه فـور الإنفجار العظيم كما أنه وإن كان أمكنه أن يتنبأ بأن الكون لابد أن تكون لـه بدايـة إلا أنه لم يمكنه أن يتنبأ (كيف) (ينبعـي) إن يكـون في البدايـة ولا كيـف يمكـن أن تكون البداية نفسها . وكما كان يقـول هـوكنج فيمـا مضـى فسنضـطر في هـذا إلى اللجوء إلى (الله)، ثم عاد بعد أن تبنى الإلحاد يقول إنه رغم أعتقاده في المفـردات (Singularities) إلا أن لدية قناعة بأن قـوانين الفيزيـاء لازالـت يمكنهـا الـتكهن بكيف بدأ الكون .

٦ – تعتبر نظرية ميكانيكا الكم نظرية عما لا تعرفه وعما مـا لا يمكننـا توقعـه وهو ما يصفها به هوكنج نفسه .

٧ – يحاول مؤلـف الكتـاب إيجـاد ثغـرات في أعمـال الفيزيـائي والرياضـي

العبقري ألبرت أينشتاين لأنه كان معارضاً لميكانيكا الكم فيما تقوله من العشوائية والصدفة واللاحتمية وكان يرى أن هناك قوانين دقيقة للغاية لم ندركها بعد تحكم سلوك الجسيمات تحت الذرية. ولذلك فإن هناك فارق واضح في (الإيمان بالله) بين إينشتاين وهوكنج نتيجة ما توصلا إليه من معلومات في فيزياء ورياضيات الكون ومادته وقواه وطاقاته (النسبية العامة وميكانيكا الكم) وبيناها في كتابنا وهي على كل حال معلومات منقوصة لأنها لا تقبل التفسيرات الدينية الصحيحة ولا تلجأ إليها حتى ولو كانت عقلانية وعلمية وغير غيبية.

٨ – يتضح جليا من الكتاب عدم معرفة مؤلفه أو إلمامه الكافي بالقرآن العظيم وآياته وتفسيراتها في مجال الكونيات والطبيعيات والإنسانيات من الناحية العلمية وعدم إتقانه أو إلمامه الكافي باللغة العربية لغة القرآن العظيم والتي يمكن للمؤلف من خلال إتقانه أو أجادته لها أن يفهم معاني آيات هذا الكتاب المتضمن للوحي الإلهي وكلمة الله الآخرة وفيما تناولته عن الكون والكائنات فيه وهو أمر أعلم أنه لا يؤمن به.

٩ – كما تتضح عدم رغبته في تناول أفكار الميتافيزيقا والمعلومات الدينية الصحيحة أو اللجوء إليها لتفسيرات للأمور والمسائل التي تناولتها الفيزياء (بأنواعها المختلفة) والتي تناولها المؤلف في كتابه وبيناها نحن في كتابنا وحيث تكون التفسيرات الدينية هي الأسهل والأكثر منطقية وعقلانية وعلمية والأكثر احتمالا وواقعية. وقد غاب عن ستيفن هوكنج أن القرآن العظيم قد نقل القضية الدينية من حيز الوهم والأسطورة والخرافة والمعتقدات الوثنية إلى حيز القضية العلمية الكلية القابلة للبرهان والمبنية على الإيمان العاقل المقترن بالعمل الصالح المفيد.

١٠ – توسع مؤلف الكتاب في تطبيقات مبدأ (عدم التيقن) لهيزينبرج وفحواه ومجالاته ونتائجه في التنبؤ والمبدأ لا ينطبق على كثير من الأمور وعلى كثير من

الحالات على خلاف ما يظنه هوكنج ومايقوله عن التنبؤ الذي تحدثت الأديان السماوية وتحدث عنه القرآن العظيم بتوسع وبأمثلة ونماذج لا أظن أن ستيفن هوكنج يعرفها وهي حالات من التوقع والتنبؤ والتيقن بدقة وصحة ولا ينطبق عليها مبدأ عدم التيقن الذي كان هوكنج يمجده وتوسع في تطبيقاته لتشمل كل شئ عنده وقد ذكرنا أمثلة لها.

١١ - الكتاب لم يتناول (الزمان الروحي) وتوصيفه الذي ذكرناه في كتابنا كما أنه لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى علم الروحية الحديثة أو الباراسيكولوجي (Parapsycology) ولا إلى كبار علماء الماديات والنفس المؤمنين بهذا العلم وما توصلوا إليه في تجاربهم وأستنتاجاتهم من معارف تختلف عن المعارف الفيزيائية وقوانينها ويمكنها أن توجد لنا أنسب التفسيرات المقنعة عن حقائق الكونيات والطبيعيات والإنسانيات التي تعجز الفيزياء النظرية وميكانيكا أو فيزياء الكم عن إيجاد التفسيرات المناسبة لها والمقنعة والصحيحة (وبرغم غرق العلم الحديث في الغيبيات، كما في الجاذبية والإلكترون والكوارك والموجة اللاسلكية والذرة والنيوترون كلها لم نرى منها شيئاً ولكن نؤمن بوجودها فهي غيب بالنسبة لحواسنا، ولم يخبر العلم عن ماهيتها).

١٢ - يؤمن عالمنا المؤلف بمسائل لازالت تفتقر إلى الإثباتات العلمية اليقينية القاطعة على صحتها مثل الأنتخاب الطبيعي والعشوائية والطفرات العشوائية والصدفة .. وغير ذلك وربما كانت تعوزه الإثباتات العلمية للغائية والقصد والتصميم والذكاء البادي والضبط في البنية الكونية .. في يقينها الذي لا يعتريه شك أو ريب .. وأقول ربما ..

١٣ - إن نظرية توحيد القوى (Unified Theory) التي تفسر كل شئ Theory of EveryThing) التي يسعى إلى بلوغها هوكنج لن تثبت ما يظنه في معلوماته الناقصة عن الإله ووجوده وخلقه للكون ولكنها - ونحن نؤمن بها ونتطلع إليها -

لن تثبت إلا وحدة النسيج الكوني (الخلية الحية – الذرة) وبالتالي وحدة الألوهية والربوبية في أوصفاها الحقيقية والتي ذكرتها الأديان السماوية أي الإله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. كما يصفه القرآن العظيم.

١٤ – لم يتناول مؤلف الكتاب مفهوم (الطاقة) وهي (القدرة) التي يتصف بها الإله وتتجلى بها (الأسماء الإلهية الحسنى) و(الصفات الإلهية العُلى) التي ذكرتها الأديان السماوية كلها ويمكن معها وبها تفسير الإنفجار العظيم في البداية للكون وتفسير وجود الطاقة الإلهية الدائم والمستمر والمتداخل في كل شيء في هذا الكون وكائناته في الإنشاء والتنظيم والتشغيل والمتابعة والحفظ والاستمرارية والدوام والإبقاء ... إلخ . وكما قلت فإن الطاقة التي أقصدها هي الطاقة بمعنى القدرة التي يتصف بها الله (القدير) و(القادر) على كل شيء وهي مصدر ومنبع ومجمع والأصل المحرك والفاعل والمؤثر الإيجابي لكل أشكال أو صور الطاقة في الطبيعة الكونية التي تحكمها قوانين الفيزياء والكم بما فيها من ارتياب ولا حتمية ونعرف الكثير منها[1]، وهي مظهر لظهور القدرة (الطاقة) الإلهية .وهي طاقة غير محدودة وغير محددة ولا نهائية وغير مقيدة بقيود أو أبعاد ولا يعجزه فيها أو يعوقه أي شيء في أي وقت وزمان ومكان لأنها مطلقة متعلقة بمشيئته وأمره ومتغلغلة ومتداخلة في الكون بدلالات قدرته في أسماء وصفات جماله وجلاله وكماله ابتداءًا من الذرة وجزيئاتها والخلايا ومكوناتها ووظائفها وحتى النجوم والكواكب في مجراتها وبما في ذلك الإنسان الذي سواه خالقه وهو المعجزة الإلهية الفريدة المتميز بالعقل وقدراته النابعة من نفخة الروح الربانية وبالطاقات النفسية والروحية ويصفه القرآن العظيم بقوله ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ

(١) أفردنا لتجلي الله وأسمائه الحسنى وطاقتها كتاباً مستقلا يمكن الرجوع إليه لمعرفة الصلة بين الله وبين الطاقة أي القدرة أشرنا إليه قبل ذلك .

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]. وقد خصصنا لموضوع الطاقة الإلهية كتابًا آخر مستقلاً بعنوان (رسالة في التوحيد) لأنه بغير الطاقة الإلهية ما كان يمكن أن يحدث أي شيء في الوجود في مظهريه المادي والطاقي وبغير الطاقة الإلهية أيضًا ما كنا سنكون نحن هنا لنقول ما نقول، علماء أو غير علماء وبما فينا ستيفن هوكنج.

١٥ – يقول هوكنج أن مبادئ فيزياء الكم تصف الطبيعة وصفا دقيقاً هو الحقيقة في الطبيعة ولكننا نعلم أنه لا توجد حتى الآن نظرية كم كاملة للجاذبية.

وإننا لا ينبغي لنا أن نسلم تسليماً مطلقاً بصحة تخيلات وأفتراضات وتصورات ميكانيكا الكم دون أن تثبت فعلا في الواقع صحتها العلمية وعن طريق العقل والتجريب والرياضيات وإلا كان أعتقانا هكذا الأعمي دوجماتيكي[1] (Dogmatic) وأنا لا أعتبر الفهم الديني خاصة القرآني مُعَوِّقا للعلم لأنه ليس فهما لتفسير غيبي للموضوعات العلمية وإنما هو فهم لتفسير موضوعي وعقلي (عقلاني) وعلمي بما يشتمل عليه من معارف طبيعية أو كونية أو إنسانية وذلك لأن العلوم ليست فقط العلوم الطبيعية التجريبية (التي تدخل فيها الكيمياء والبيولوجيا اللذان يرجعان إلى الفيزياء) التي تعتمد على الحواس في رصد النتائج وتكون بالتالي عرضة للتضليل وخاصة بالنسبة لإدراك «حقيقة الوجود» المحيط بنا. وإنما تشمل أيضًا العلوم الإنسانية التي لا يتوجه إليها المنهج العلمي التجريبي.

١٦ – أن مفهوم اللا حتمية (UNCERTAINTY) في فيزياء أو ميكانيكا الكم يعني أن قوانين الطبيعة التي نعبر عنها رياضياً لا تصف الجسيمات تحت الذرية على حقيقتها وإنما هي تعبر عن «نظرتنا» لتلك الجسيمات وبما يعنيه ذلك من وجود دور للراصد في ذلك وبما لا يعبر دائماً عن (كنه) أو (ماهية) الحقيقة

(٢) الدوجماتي هو المتعصب لمعتقد دون برهان.

المجردة للأشياء وإنما بوصف ظواهرها فقط وبالاحتمالات. ويذهب كثيرون إلى أن الفيزياء الحديثة وفيزياء الكم أصبحت مبنية الآن على الحقيقة التي خلقها فكر الإنسان وليس على الحقيقة المجردة في ذاتها وهو ما أنتهى إليه مؤتمر العلماء الذي عقد في كوبنهاجن عام ١٩٢٧. هذا وأن وصف الطبيعة الكامل للعالم الذري إنما يكون على أساس (إحتمالات) ليست مبنية على مرئيات حقيقية في عالم الزمان والمكان وإنما على التجربة الحسية للأشياء الميكروسكوبية.. وكما يقول الدكتور/ حسن عباس زكي في كتابه «الإنسان والوجود» (في ميكانيكا الكم فإن جسيمات الذرة هي «ميول للتواجد أو احتمالات للحدث» حيث أن جسيم الذرة هو كم أو كمية من شيء معين أما ما هو هذا الشيء فأمر محل تأمل ومضاربة وهناك على المستوى الذري تبادل مستمر بين الكتلة والطاقة فكل منهما يتحول إلى الآخر) أنتهى...

١٧- أن فرضية الأكوان المتعددة تعتبر عند كثير من علماء فيزياء الكوانتم من الخيال العلمي وليست من الفيزياء إذ من المستحيل التأكد علمياً من وجودها وهي تمثل أقصى درجات اللامنطقية وتطرح افتراضاً إحتمالياً لا يمكن تمحيصه، ومن أشهر هؤلاء العلماء (JOHN POLKINGHORNE) والفيلسوف (RICHARD SWINBURN) وعالم الفلك (EDWARD HARRISON). وأرنو بنزياس وجون ليسلي وغيرهم. وأنا أضيف أن هذا ما يقوله العلماء أما القرآن العظيم فينسب القدرة على إيجاد أكوان متعددة مثل كوننا، ينسبها إلى الله سبحانه وتعالى القدير والقادر وحده على ذلك فيقول ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨١-٨٣]، فالقرآن لا ينسب القدرة على إيجاد أكوان متعددة لا إلى الصدفة ولا إلى العشوائية ولا إلى الحظ ولا إلى اللاإرادة ولا إلى اللاغاية ولا إلى القوانين الطبيعية

التي يقول الملحدون أنها نشأت تلقائياً.

ومما ينبغي معرفته أن معظم كبار العلماء من مؤسس فيزياء الكم والحاصلين جميعاً على جوائز نوبل هم من المؤمنين بالله، وعلى رأسهم ماكس بلانك وهيزنبرج وشرودنجر وبول دبراك.. وأن الصراع الحقيقي لا يكمن – وكما اتضح من كتابنا – بين العلم والدين وإنما أن وجد – فإنه يكون بين علماء في الدين والعلوم نتيجة تصور عند الأثنين في فهم كل من العلم والدين حيث أن رأي بعض العلماء ليست بالضرورة هي رأي صحيح العلم كما أن رأي بعض علماء الدين ليس هو بالضرورة رأي صحيح الدين. والعلم وأن كان غالبا ما يتبنى النظرة الطبيعية فإن ذلك غالباً ما يرجع إلى وجود فكر ديني مليء بالخرافات والتصورات والأساطير غير العقلانية والمفاهيم غير العلمية وكنها ينأى عنها الفكر الديني القرآني أي الكتاب (القرآن العظيم) الذي ينبني على العلم والمعارف في عالمي الشهادة والغيب، وكما بيناه في كتابنا باختصار والذي ينبغي علينا جميعاً معرفته، سواء منا المؤمنين بالقرآن أو غير المؤمنين، أن هذا الكتاب ليس كتابا للنظريات العلمية ولا سجلا جامعاً للعلوم كافة أو محدثا عن تفصيلات ومجالات وموضوعات وفروع وتخصصات وأنواع علوم بعينها لأنه كتاب الدين (دعوة وحجة) الذي ترك هذه الأمور لنشاط وعمل الإنسان العقلي (البصري والبصيري) حتى يجتهد الإنسان باستمرار في طلب العلم والاستزادة منه والتعلم ليكتسب معلومات جديدة ويتوصل إلى اكتشافات جديدة ومعارف جديدة في اطار مبدأ «عالمية العلم» و«حياده» لأن العلم لا يعرف الكلمة النهائية وليس له نهاية مهما بلغ الإنسان العالم من علو ورفعة وتميز وعبقرية في المستوى العلمي والمعرفي، ربما جعلته متعالياً ومتكبراً أو متحيزاً وغير محايد.

وفي كتاب «موجز تاريخ الزمن» يقول ستيفن هوكنج: «إذا أكتشفنا النظرية الجامعة لقوى الفيزياء سنكون قد حققنا انتصاراً كبيراً للعقل البشري وعندها سنكون قد فهمنا عقل الإله». ولكن في كتابه «التصميم العظيم» أعلن هوكنج أنه:

«لم يعد هناك مجال للقول بوجود الإله» كما أعلن أن قوانين وثوابت الفيزياء التي نفهمها قادرة على إيجاد وتشكيل الكون ومن ثم لا حاجة للقول بوجود الإله «ويقول في نفس الكتاب »لأن هناك قانون كقانون الجاذبية فقد خلق الكون نفسه من عدم» ورغم أن ما يقوله يعني أن شيئا لم يوجد بعد قادر على إيجاد ذاته فإنه يعتبر من الأقوال اللا منطقية واللا عقلية واللا علمية.

إن ستيفن هوكنج ومن هم أمثاله من الذين يبحثون ويتعمقون في العلوم المادية وحدها لا يختبرون إلا جزءاً واحداً من العالم الموجود وهو المنظور والمرصود لنا الذي يتصل بالماديات وقواها وطاقاتها، ولكنهم لا يختبرون الجزء الثاني من العالم الموجود غير المنظور وغير المرصود لنا وهو الذي يتصل بالروحانيات وقواها وطاقاتها النورانية أي قدراتها في (عالم النور الطاقي) رغم أنهم ربما أو غالباً ما لايؤمنون بهذا العالم النوراني وكائناته بسبب النقص الكبير في معلوماتهم عن هذا العالم الذي يجهلونه ويجهلون حقائقه وواقعه وقوانينه، ومن هنا يرفضونه ويبتعدون عن الخوض فيه وفي حقائقه بحجج واهية في حقيقتها وغير مقنعة وغير عقلية أو عقلانية أو حتى علمية لا تستند إلا إلى (عدم الإيمان) أي إلى (الكفر والإلحاد) وإلى (انكار الألوهية والربوبية) وحسب الظن والهوى وعدم التيقن والتخير وعدم الحيدة.

لقد تمكن العالم الروسي «سيمون كيرليان» وزوجته في عام ١٩٣٩م من اختراع جهاز للتصوير باستخدام مجال كهربي عال التردد (٧٥.٠٠٠ – ٢٠٠.٠٠٠ ذبذبة ثانية) مكنهما من تصوير الجسم الأثيري (الروحي) للإنسان وهو ينفصل عن الجسم المادي في لحظة الموت.

أن نور الروح يستمد من نشاطات وفعاليات وإيجابيات طاقة الاسم الإلهي الحسن (النور) ولها قدر محدود من خصائصه لأن القرآن يقول (ونفخت فيه من روحي) ولا يقول ونفخت فيه روحي.

وأنه بدون الطاقة والقوى لا يمكن أن يحدث أي شئ في الكون ولا يستطيع أي شئ أن يتحرك أو يعيش. ولقد حاول الكثيرون على مر العصور تصميم آلات تعمل باستمرار دون مصدر للطاقة، لكن محاولاتهم كلها باءت بالفشل لأن ذلك يستحيل تحقيقه حيث لا بد لأي آلة من مصدر طاقة دائم، ومن المعلوم لنا أن طاقة الدخل في أي آلة هي دائماً أكبر من طاقة خرجها. وكذلك آلة (المخ) تحتاج دائماً إلى طاقة دخل أي مصدر طاقة دائم – هو الروح – الذي يتصل بآلة المخ عن طريق أهم الوسائط الطاقية وهي الكهرباء (الكهرومغناطيسية) وهي الشجرة المبركة الزيتونة اللا شرقية واللا غربية التي أشارت إليها الآية ٣٥ من سورة النور في القرآن العظيم في المثل الإنساني (المخ والعقل) لنور الله نور السماوات والأرض أي الكون..

أن الحقيقة التي يدركها الإنسان (العلماء) بعقله في حدوده الفيزيقية والحسية حتى في أعلى مراتب التجريد الرياضي قد لا تكون بالضرورة هي ذات الحقيقة التي يدركها الإنسان (العلماء) بشفافيته الروحية البصيرية في مستوى ادراكه الزائد على الحواس (E.S.P) كما أنها قد لا تكون بالضرورة هي الحقيقة التي تدركها الكائنات الروحية النورية الصرفة كالملائكة والروح (روح القدس) لأن الواقع الطبيعي والقوانين التي تعمل في العالم الروحي النوري (الطاقي) تختلف عن القوانين التي تعمل في العالم الطبيعي المادي الفيزيقي، ولذلك تختلف الرؤى في العالمين وتختلف الحقائق فيهما مع اختلاف المنظور بين المادي والروحي (النوري/ الطاقي).

أن المظهر الوجودي للعالم الروحي (عالم الأمر) تحكمه إتصالات الفكر، وحركته متصلة بالفكر وتكون مشاهد الواقع والحقيقة فيه في أبعاد تختلف عن أبعاد عالمنا الحسي المعروفة للعلماء، كما تختلف عما نعتقده الحقيقة في الوجود الطبيعي حسب تصورات أمخاخنا وأجهزتنا العصبية.

لقد وصف القرآن العظيم روح القدس، الروح الأمين جبريل بأنه (شديد القوى) بما قد يعنيه ذلك من قوة تماثل – على الاقل – (القوى الشديدة) التي تُكوّنواحد من أربع قوى في الكون تمكن العلماء من اكتشاف وجودها في الطبيعة وهي:–

(١) الجاذبية.

(٢) الكهرومغناطيسية.

(٣) القوى النووية الضعيفة.

(٤) القوى النووية الشديدة

إن ذلك يدعونا إلى القول بإن هناك قوى من العالم الروحي لا نشعر بها أو ندركها تمتد إلى القوى والطاقات الموجودة في العالم الطبيعي ومادياته تستطيع أن تؤثر عليها أو تعدل فيها أو تغير من تأثيراتها المعهودة المعروفة وتتحكم فيها. كما وأن العوالم الروحية النورية الصرفة لا تحتاج إلى قوى أو طاقة أو قدرة فيزيقية مادية لأداء نشاطها وإجراء تأثيراتها (الملائكة والروح) لأن قدراتها (طاقاتها) والواعية تستمد من نور يمثل صورة غير معروفة للعلماء حتى الآن من صور الطاقة التي أوجدها الخالق سبحانه وتعالى وتدخل فيما يقوله القرآن العظيم في معنى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء :٨٥]. فهو نور يرجع إلى الله واسمائه الحسنى لأنه سبحانه وتعالى كما يخبرنا القرآن العظيم في الآية ٣٥ من سورة النور﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي أنه سبحانه وتعالى مصدر وأصل والسبب الأول لكل الطاقات في العالمين المادي (الطبيعي) واللامادي (الروحي) كما كان الأمر مع انفجار البداية الذي يرجح حدوثه العلماء، وإننا بمعادلة بسيطة يمكن أن ننتهي إلى أن :

النور = اسم حسن

النور = طاقة

إذن الاسم الحسن = طاقة

وهي طاقة أي قدرة لله سبحانه وتعالى الذي له الأسماء الحسنى لا تخضع ولا تحكمها قوانين الفيزياء والكم المعروفة حالياً وهو لا يتبع أيا من علومنا المادية فهو خارج مجال العلم كله. في سورة الزمر يقول القرآن العظيم ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ وفي سورة الحج يقول ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾.

وأنني أعلم أن منهج «العلمية» (Scientism) الذي يرجع مفهومه إلى القرن الـ١٧ في أوروبا يعتبر أي حديث عن الإله أو الدين أو التجارب الروحية أنه يقع خارج نطاق العلم ولذلك يُعتَبره المنهج أنه ليس حقيقياً وهذا ما يقوله العلماء الذين لا يؤمنون بالله ووجوده الواجب.. في حين أن (الله) خارج وجودنا المادي ومن ثم لا يتبع أيا من علومنا المادية بما يعنيه ذلك من أن البحث في ذات الله وعلمه وعمله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى يقع خارج مجال العلم كله والذي يفتقر العلماء فيه إلى الحياد وعدم التحيز.

وقد كان أينشتاين يقول: «إن كل إنسان مهتم بالعلم بصورة جادة يدرك أن قوانين الطبيعة تعكس وجود روح كلي أسمى كثيرًا من روح الإنسان» (Spirit Vastly Superiorto That of Man)

وبعد

إنني أستطيع أن أجزم بيقين إن ستيفن هوكنج لا يعلم ما يكفي من معلومات وحقائق عن (التوحيد) في العقيدة الدينية القرآنية أو ما جاء في هذه العقيدة عن فقه شهادة التوحيد وحقائقه في مستوياته ودرجاته المختلفة ووسعته وشموله أو عن

توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية أو ما يليق في حق (الله) وما لا يليق أو ما يجوز وما لا يجوز أو ما يمكن وما يستحيل أو ما يتجلى (يظهر) به الله من أسمائه الحسنى وصفاته العلى وطاقاتها أو ما (يبطن) به[١].

كما يتضح أيضاً أنه وقد نفض عن عقله ما كانت الكنيسة ورجال اللاهوت في الماضي البعيد يحتكرونه من مفاهيم توارتية وإنجيلية عن الكون والطبيعة والإنسان حاربوا بها العلم والعلماء في الزمن الماضي كما هو معروف فإنه صار يركز كلية على العلوم المادية وحدها (الفيزيائية والكمية والرياضية أساساً) ويرى أن فيها الكفاية لمعرفة كل شئ ممكن عن الكون وبدايته وسيره وعما إذا كان يحتاج إلى (إله) في منشئه وتدبيره ودوافعه وهل له بداية ونهاية أم أنه أزلي أبدي..؟ وغير ذلك.. ولكنه كان يعتقد في السابق ويقول في الماضي: (إذا كنا نعلم بعض ما حدث منذ الانفجار الأعظم «وتزداد معرفتنا مع تقدم العلم» فإننا لا نستطيع تحديد ما كان قبل ذلك.

كما إن ظروف ما قبل الانفجار الأعظم لا يجب أن تشكل أي جزء من تصورنا العلمي للكون. علينا أن نكتفي بأن نقول إن الانفجار الأعظم هو بداية الزمن، ويعني ذلك أن الأسئلة التي تدور حول كيف تهيأت الظروف لهذا الانفجار الأعظم ليست بالأسئلة التي يتناولها العلم». إنتهى[٢].

ومن المعلوم أن ما يجري في معامل أبحاث سيرن (Cern) من محاولات لمحاكاة (البداية) ليس مطابقًا للحقيقة لأنها تقع في إطار الزمان والمكان ووجود طاقة الفراغ بينما في البداية لم يكن هناك زمان أو مكان أو مادة أو طاقة أو قوى.

(١) وهو سبحانه الظاهر والباطن

(١) في حوار نشر في كتابه «BLACK HOLES & BABY UNIVERSES» الصادر عام ١٩٩٣ والحوار كان عام ١٩٩٢ يوم الكريسماس بين (SUE LAWLEY) من الـBBC وستيفن هوكنج.

وكان الدكتور هوكنج يتساءل عن بداية تمدد الكون والقوة المسؤولة عنه[1] كيف تمدد الكون بهذه السرعة الهائلة في بدايته حتى يصبح على هذا التجانس؟ كيف حافظ هذا التمدد على القيمة الحرجة التي تحقق استقرار الكون لفترة طويلة، وتحقق نشأة الحياة على كوكب الأرض ويجيب ستيفن هوكنج عن هذه التساؤلات قائلا: لا شك أنها إرادة الإله الذي شاء أن يخلق كائنات مثلنا[2].

(٢) أثبت العلم أن هناك ثلاث حقائق مهمة لسيناريو الخلق هي التمدد والتريد والتطور.

(٣) المرجع السابق.

obeikan.com

حقائق غائبة عن ستيفن هوكنج

وأوضح هنا في عجالة وباختصار وإيجاز شديدين بالقدر الذي يحتمله كتابي ولا يبتعد عن موضوعه أو يطيل فيه ، أوضح حقائق عن الألوهية والتوحيد والتنزيه من القرآن العظيم غائبة عن الدكتور ستيفن هوكنج[1] الذي كان يحاول معرفة (عقل الله)! .

الحقيقة الأولى (الله) :

الله جل جلاله وتقدست ذاته وصفاته وأسماؤه ، واحد لا شريك له، فرد لا مثيل له ، صمد لا ضد له ، متوحد لا ند له . وأنه قديم لا أول له ، أزلي لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدي لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له . قائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال موصوفًا بنعوت الجلال لا يقضي عليه بالانقضاء والانفصال يتصرم الآماد وانقراض الآجال ، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، وأنه تعالى ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدود مقدر ، وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام ، وأنه تعالى ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ، ولا يعرض ولا تحله الأعراض ، بل لا يماثل موجودًا ، ولا يماثله موجود ، وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء ، وأنه تعالى لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه السموات ، وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والتحول والانتقال ، لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته

(١) خصصنا في هذا الموضع وحقائقه كتابًا لنا آخر يمكن الرجوع إليه لمن يريد بعنوان «رسالة في التوحيد» نشر مكتبة جزيرة الورد .

محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته ، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قربًا إلى العرش والسماء ، بل هو رفيع الدرجات على العرش كما أنه رفيع الدرجات على الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد ، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام وأنه تعالى لا يحل في شيء ، ولا يحل فيه شيء ، تعالى عن أن يحويه مكان ، كما تقدس عن أن يحده زمان ، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان وأنه تعالى بائن بصفاته من خلقه ليس في ذاته سواء ولا في سواء شيء من ذاته ، وأنه تعالى مقدس عن التغيير والانتقال لا تحله الحوادث . ولا تعتريه العوارض . بل لا يزال في نعوت جلاله منزهًا عن الزوال . وأنه تعالى في ذاته معلوم الوجود بالعقول ، مرئي بالأبصار نعمة منه ولطفًا بالأبرار في دار القرار ، وإتمام للنعيم بالنظر إلى الوجه الكريم .

هذا ما يمكن أن يسطر على صفحات الأوراق مما يقرب للعقول فهمه ، وتطمئن به القلوب ، وترتاح له النفوس ، وما وراء ذلك من شهود عين اليقين ومكاشفات حق اليقين لا تفي به عبارات أهل التعبير ، ولا إشارات أولياء الله المقربين ، لأنه من غوامض أسرار عجائب القدرة وغرائب الحكمة ، وغيب كمالات الذات الأحدية ، وجمالات صفاتها العلية ، وجلال أسمائها المقدسة الصمدية .

الحقيقة الثانية (أسماء الله الحسنى وصفته العُلا) :

تنقسم إلى أسماء جمال وأسماء جلال وأسماء كمال[1] ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء:١١٠]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠]، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه:٨]، والأسماء التي وردت في القرآن .

(١) عشرة أسماء ذاتية كمالية منها (الله) و(النور) وتسعة عشر جلالية منها (القهار) و(الجبار) و(المنتقم) وسبعون جمالية منها (الرحيم) و(الحليم) و(الكريم).

الله – الرحمن – الرحيم – الملك – القدوس – السلام – المؤمن – المهيمن – العزيز – الجبار – المتكبر – الخالق – البارئ – المصور – الغفار – القهار – الوهاب – الرزاق – الفتاح – العليم – القابض – الباسط – الخافض – الرافع – المعز – المذل – السميع – البصير – الحكم – العدل – اللطيف – الخبير – الحليم – العظيم – الغفور – الشكور – العلي – الكبير – الحفيظ – المقيت – الحسيب – الجليل – الكريم – الرقيب – المجيب – الواسع – الحكيم – الودود – المجيد – الباعث – الشهيد – الحق – الوكيل – القوي – المتين – الولي – الحميد – المحصي – المبدئ – المعيد – المحيي – المميت – الحي – القيوم – الواجد – الماجد – الواحد – الصمد – القادر – المقتدر – المقدم – المؤخر – الأول – الآخر – الظاهر – الباطن – الوالي – المتعالي – البر – التواب – المنتقم – العفو الرؤوف – مالك الملك – ذو الجلالة والإكرام – المقسط – الجامع – الغني – المغني – المانع – الضار – النافع – النور – الهادئ – البديع – الباقي – الوارث الرشيد – الصبور .

وهذه الأسماء وعددها تسعة وتسعون ليست هي كل الأسماء التي سمى الله بها نفسه أو أنزلها الله في كتابه ، أو جاءت في أحاديث نبيه ، أو علمها الله أحدًا من خلقه أو استأثر بها في علم الغيب عنده.

الحقيقة الثالثة (التوحيد) :

التوحيد هو اعتقاد القلب أن الله تعالى واحد ، لا من عدد ، وأول لا ثاني له ، موجود لا شك فيه ، وحاضر لا يغيب ، وعالم لا يجهل ، قادر لا يعجز ، حتى لا يموت ، قيوم لا يغفل ، حليم لا يسفه ، سميع بصير ، ملك لا يزول ملكه ، قديم بغير وقت ، آخر بغير حد ، كائن لم يزل ولا تزال الكينونة صفته ، لم يحدثها لنفسه ، دائم أبد الأبد ، لا نهاية لدوامه ، والديمومة وصفه غير محدثها لنفسه ، لا بداية

لكينونته ، ولا أولية لقدمه ، ولا غاية لأبديته ، آخر في أوليته ، أول في آخريته ، وأن أسماءه وصفاته وأنواره غير مخلوقة له ولا منفصلة عنه، وإنه أمام كل شيء ، ووراء كل شيء وفوق كل شيء، وأقرب إلى كل شيء من ذات الشيء ، وأنه مع ذلك ليس محلاً للأشياء وأن الأشياء ليست محلاً له ، وأنه على العرش استوى كيف يشاء بلا تكييف ولا تشبيه ، وأنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وبكل شيء محيط، الجو وجه ، والفضاء من ورائه ، والهواء وجه ، والمكان من ورائه ، والحول وجه ، والبعد من ورائه ، وهذه كلها حجب مخلوقات من وراء الأرضين والسموات متصلات بالأجرام اللطاف ومنفصلات عن الأجسام الكثاف - من الكثافة - وهي أماكن لما شاء ، داخله في قوله ﷺ : «ربنا لك الحمد ملء السمواوت ، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد» ، والله جل جلاله وعظم شأنه هو ذات منفرد بنفسه ، متوحد بأوصافه ، لا يمتزج ، ولا يزدوج إلى شيء ، بائن من جميع خلقه ، لا يحل الأجسام ولا تحله الأعراض ، ليس في ذاته سواه ، ولا في سواه من ذاته شيء ، ليس في الخلق إلا الخلق ، وليس في الذات إلا الخالق .

وأنه تعالى ذو أسماء ، وصفات ، وقدرة ، وكلام ، ومشيئة وأنوار كلها غير مخلوقة ولا محدثة ، بل لم يزل قائمًا موجودًا بجميع أسمائه وصفاته وكلامه ، وأنواره ، وإرادته ، وأنه ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، له الخلق ، والأمر ، والسلطان ، يحكم بأمره في خلقه وملكه ما شاء كيف شاء ، لا معقب لحكمه ، ولا مشيئة لعبد دون مشيئته ، إن شاء شيئًا كان ، ولا يكون إلا ما شاء ، لا حول لعبد عن معصية إلا برحمته ، ولا قوة لعبد على طاعته إلا بمحبته ، وهو واحد في جميع ذلك لا شريك له ولا معين في شيء من ذلك ، ولا يلزمه إثبات الوعيد ، بل المشيئة إليه في العفو ، ولا يجري عليه في الأحكام ما أجرى علينا ، ولا يختبر بأفعال ولا يشار بالمقال ، حكيم عادل بحكمة وعدل هما صفتاه ، لا تشبه حكمته بحكمة خلقه ، ولا يقاس عدله بعدل عباده ، ولا يلزمه من الأحكام ما ألزمهم ، ولا يعود عليه من الأسماء المذمومة كما يعود عليهم ، قد جاوز العقول ، وفات

الأفهام، والأوهام، والعقول.

هو كما وصف نفسه، وفوق ما وصفه خلقه، نصفه بما ثبتت به الرواية وصحت عن رسول الله ﷺ، وأنه ليس كمثله شيء في كل شيء بإثبات الأسماء والصفات، ونفي التمثيل والأدوات، وأنه سبحانه وتعالى لم يزل موجودًا بصفاته كلها ولم تزل له، وأن صفاته قائمة به لم تزل كذلك، ولا يزال بلا نهاية، ولا غاية، ولا تكييف، ولا تشبيه، ولا تثنية، بل بتوحيد هو متوحد به، وتفريد هو منفرد به، لا يجري عليه القياس، ولا يمثل بالناس، ولا يُنعت بجنس، ولا يلمس بحس، ولا يتحد بشيء، ولا يزدوج إلى شيء، وأن ما سوى أسمائه، وأنواره، وكلامه من الملك والملكوت، محدث كله، ومظهر حدث بعد أن لم يكن، ولم يكن قديمًا، ولا أول، بل كان بأوقات محدثة، وأزمان مؤقتة.

والله تعالى هو الأزلي الذي لم يزل، الأبدي لم يحل، القيوم بقيومية هي صفته، الدائم بديمومة هي نعته، أول بلا أول، ولا عن أول، آخر لا إلى آخر بكينونة هي حقيقته، أحد صمد لم يلد، وبمعناها لم يولد، ومعنى ذلك لم يتولد هو من شيء ولم يتولد منه شيء، ومثل ذلك لم يخلق من ذاته شيء كما لم يخلق ذاته من شيء. وهو المنزه عن كل وصفٍ يدركه الحس أو يتصوره الخيال أو يسبق إليه الوهم أو يختلج به الضمير أو يفضي به تفكير أو يتصوره ويصوره عقل أو يحيط أحدٌ به علمًا.

وأنا ما أردت في كتابي هذا إلا أن أبين العديد من الحقائق التي كانت غائبة عن ستيفن هوكنج في كتابه «موجز تاريخ الزمن» أو ما قرأته له أو نقلته عنه على لسان غيره والتي يمكنه معها – إذا أراد وأهتم – أن يضيفها إلى سجل معلوماته وهو يبتغي الوصول إلى الحق وإلى الحقيقة وفق ما يحسبه حقاً ويراه من خلال الفيزياء وفيزياء الكم والرياضيات وغيرها. وإن ما أوردته في كتابي من آيات القرآن العظيم (وهي كثيرة في الكتاب) المترجمة إلي اللغة الإنجليزية لن تؤدي نفس التأثير ولا رؤية نفس الإعجاز في مبناها ومعناها الذي تؤديه الآيات نفسها في لغتها العربية

openkan.com

كما أن القارئ لن يستشعر تأثيراتها الجمالية والجلالية والكمالية وما تفيده في مبناها ومعناها ومقاصدها وغاياتها ودلالاتها وروحها إلا إذا قرأها بلغتها الأصلية التي تنزل بها القرآن العظيم نفسه وهي اللغة العربية لأن الكتب الإلهية الثلاثة وهي التوراة والإنجيل والقرآن في أصلها كما أوحاها الله إلى رسله المتلقين لها تعتبر في حقيقتها (نور) للهداية إلى الحق و (فرقان) للتفرقة بين الحق والباطل والصالح والفاسد والصحيح والخطأ يهدي إليها الله من يشاء.

وقد جمع القرآن هذه الحقائق في الآيات من (١-٤) من سورة آل عمران فيقول ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾

وأعتقد أن آيات القرآن التي أوردت في لغتها الإنجليزية ستؤدي الغرض المطلوب منها عند القراء وعند هوكنج نفسه إذا نقلت إليه كاملة، الدلاله والمعنى وأن كان عامة العلماء وجمهورهم يقولون أن القرآن العظيم هو المعنى والنظم العربي الذي لا يصح فيه تبديل ولا تغيير ولا تأخير، وأن أي معنى من معاني القرآن يؤدي بغير أسلوبه ونظمه أو بلغة أخرى غير عربية لا يسمى (قرآناً) ولا يثبت له شئ من أحكام القرآن..

إن القرآن العظيم يسع في كماله واكتماله وشموله وإحاطته كل الحقائق الثابتة بالقوانين العلمية اليقينية من وجهة نظر العلماء، ولا يوجد أي تعارض بأي قدر بين مقررات هذا الكتاب المسطور وبين حقائق الكون كتاب الله المنظور، لأن خالق الكون من العدم أي عدم وجود أي شئ غيره أو معه كما حدث النبي الخاتم محمد. ومنزل القرآن في القدم، واحد هو الله سبحانه وتعالى. والقرآن بشموليته يخبرنا عن الكثير من الإعجاز في الخلق الكوني والإنساني والنباتي والحيواني ويرشدنا إلى حقائق هذا الإعجاز فيما يتوافق معه العلم وتتوصل إليه المعرفة في حدود عقولنا المحدودة ومعلوماتنا المتجددة لكل قوى وطاقات

الكون وقوانينه الصادرة عن إرادة الله وأمره في نشاطاتها التي تستمد من قدرته (طاقته) وحكمته في وجوده وحياته وقيوميته وتدبيره الأسمائي والصفاتي الإيجابي الفاعل في هذا الوجود المشهود وفي الوجود الغائب عنا فيما لا تدركه ولا ترصده ولا نعلمه.

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين في عصور نهضتهم السالفة التي مهد لها القرآن العظيم ورعاها أضافوا إلى مفهوم العلم النظري – الذي كان اليونانيون يتمسكون به – نهجاً جديداً هو إستخدام العلم من أجل كشف أسرار العالم الطبيعية وتمكين الإنسان من السيطرة عليه واستغلاله لصالحه (المنهج التجريبي)+ (الحقائق الرياضية) وبذلك جمعوا بين النظرية والتطبيق في إطار حضارتهم التي قامت على مفهوم الإسلام الجامع بين الدين والدنيا، ولم تكن فكرة التعارض بين العلم والإيمان أو العلم والدين واردة في أذهانهم.

وقد أخذ الأوربيون من العلماء المسلمين معارفًا وعلومًا وأفكارًا وفنونًا ومخترعات جديدة أثناء احتكاكهم بهم في الأندلس وثقيلية وفي الحروب الصليبية في الشرق وغيرها مهدت للنهضة في أوروبا وفي الإصلاح الديني بها والنهضة . وأنا أعرف أن الدكتور استيفن هوكنج يعلم ذلك جيدًا وإن كان لم يشر إليه لا تصريحًا ولا تلميحًا ولا مختصرًا لا في كتابه (موجز تاريخ الزمن) ولا في غيره.

وكما يقول «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانية» : «لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن لم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة بل هناك مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باقورة أشعتها إلى الحياة الأوربية وليس هناك ناحيةٌ واحدة من نواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا .. إنه يدين لها بوجوده نفسه ».

ومنذ تدهور وسقوط الحضارة الإسلامية لأسباب كثيرة ومتداخلة ومتشابكة تدنى مستوى المسلمين حتى صاروا محسوبين في عصرنا في عداد الشعوب المتأخرة والدول النامية التي يضرب فيها التخلف ومظاهره والأنغلاق والجمود فضلاً عن التطرف والإرهاب عند جماعات ومجموعات منهم وينخر في دولها وفي أخلاقيات وسلوكيات شعوبها إبتعادها عن مبادئ وتعاليم هذا الدين وكتابه القرآن العظيم وتوجهاتهما. كما وأن الفضل الأكبر يرجع إلى عرب إسبانيا في تقديم خلاصة الفكر العربي في العلوم والآداب والفلسفة إلى غرب أوروبا فضلاً عن تعريف الأوروبيين بكثير من تراث اليونان القديم.

ومع ذلك فلا يعيب القرآن العظيم أن يكون مستوى حياة ومعيشة المسلمين مستوى متدني بالقياس إلى غيرهم كما أنه لا يعيب القرآن العظيم أن تكون الصلة تكاد تكون منقطعة بين حاضر واقع أهله إذا قارناه بما أنجزه السابقون من العلماء المسلمين من إنجازات كثيرة في المجال العلمي والمعرفي والبحث والابتكار فيهما وأقاموا بذلك في ماضيهم حضارة كانت سباقه على حضارات قامت في وقتهم ولم تزدهر في الغرب إلا مع بداية عصر النهضة في أوروبا.

ويقول المؤرخ جورج سارتون في كتابه «تاريخ العلم» (الكتاب الأول) : «إن المسلمين عباقرة الشرق في القرون الوسطى لهم مآثر عظمى على الإنسانية تتمثل في أنهم تولوا كتابة أعظم المؤلفات والدراسات قيمةً وأكثرها أصالةً وعمقًا مستخدمين في ذلك لغتهم العربية التي كانت بلا شك لغة العلم للجنس البشري في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر لدرجة أنه كان يتحتم على الشخص الذي يريد الإلمام بثقافة عصره وبأحدث ما يجري فيه من علوم أن يتعلم اللغة العربية» .

وهي نفس اللغة التي يتم بها التواصل مع القرآن العظيم في كل عصر ووقت وزمان متى توفر عند أهله الإخلاص والصدق والحرية والحيدة وعدم التحيز.

استطراد ختامي

وفي ختام كتابي أحب أن أوضح أنه بصرف النظر عن مواقف الناس من الإيمان بالله وحق قدره ومواقف العلماء منهم في ذلك فهم يجهلون أن الله تعالى لا ينقص من قدره شيئ أن لا يؤمن به وبوجوده مخلوق ولا يزيد من قدره شئ أن يؤمن به وبوجوده مخلوق ولو كان هؤلاء وأولئك من كبار العلماء لأنه سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة مؤمن ولا تضره معصية كافر أو ملحد فهو ببساطة التوحيد الحق غني عن العالمين في كل شئ لا يقاس بالمحدثات ولا تقاس إليه المحدثات، ولا يفتقر إلى غيره في وجوده أو في فعله أو في قدرته وطاقته أو في أي شئ وكل شئ وهو ليس كمثله شيء في كل شئ كما يقول القرآن العظيم حتى ولو كان من مسعى الكافرين والملحدين الوصول من خلال العلوم المادية وحدها إلى نتيجة مفادها عدم الإيمان بالله الخالق (كما يحاول ستيفن هوكنج أو غيره) في نفس الوقت الذي لا يسمعون ولا يستمعون إلى القرآن العظيم خاتم الكتب السماوية والمصدق لها في أصولها كما أنزلها الله ويتخذون منه موقفاً كارهاً أو رافضاً ينبني على نقص المعلومات عندهم أو مغلوطها أو معدومها.

رغم أن القرآن العظيم يؤكد أن عطاء الله من العلم للناس أو من غير العلم ممدود ومتاح لكل الناس وليس محظوراً على كل مجتهد سواء أنتهى بإرادته الحرة وعلمه إلى الإيمان أو إلى الكفر فهو يقول ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٠]. ان الاسم والمعنى للدين والعلم لهما نفس المدلول في القرآن العظيم وكما في أصول الكتب السماوية التي سبقته (التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.. إلخ). لأن مصدرهم واحد ثابت

وغير متغير ووحيه في كتبه غير متناقض وغير مختلف وغير متعارض.

والقرآن العظيم يوحد ولا يفرق بين القضيتين الدينية والعلمية فالعلم دين والدين علم وما جاء به الله في القرآن هو كما يقول ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف:٥٢] وكما يقول ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود:١] وكما يقول ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: ٦] فالذي جاء به الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد هو دين وعلم كما ذكر القرآن العظيم في الآية ١٢٠ والآية ١٤٥ من سورة البقرة، وكما أشار إلى القضية الدينية بمفهوم القضية العلمية في سور (مريم الآية ٤٣) و (يوسف الآية ٢٥) و (الأنبيا الآية ٧٤) و(النمل الآية ٣٥) و (القصص الآية ١٤) وغيرها.

والمتحدث في القضيتين (الدينية والعلمية) هو الله (الذي لا يؤمن به ستيفن هوكنج والملحدون) وهو العليم الخبير والحكيم القدير بكمالاته المطلقة، ولذا فإن علمه علم مطلق ذو طبيعة شمولية وكلية ولا عهد للإنسان بها فهو سبحانه ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه :٩٨] و ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢] و﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر:٢٢]، وهو علام الغيوب والأسرار والخفايا والظاهر والباطن والمعلن والمتكتم بكلياته وجزئياته وتفصيلاته ودقائقه في وجوده الأولي والأخرى المحيط بالوجود وبكل موجود وهو سبحانه بكل شئ عليم وفوق كل ذي علم عليم ولا يحيطون به علماً. وفي هذا الاستطراد الختامي أُذكر الدكتور ستيفن هوكنج بما أغفله في كتابه عن الأستاذ الدكتور أحمد زويل الذي ابتدع علم (الفيمتو كيمياء) الجديد وما له من آثار علمية في زمننا الحال والقادم ومفاهيمنا العلمية الحالية والمستقبلية .

أن المعلومات العلمية القرآنية التي ذكرتها في تناولي لكتاب ستيفن هوكنج «موجز تاريخ الزمن» (A BRIEF HISTORY OF TIME) ليست إلا نقطة من

محيط تزخر به المكتبة القرآنية ولا أحيط به معرفة، إلا إنني أحسب وأظن أنني قد أوضحت وعلى قدري المتواضع فيما ذكرته من «الحقائق الغائبة» عنه في كتابه المذكور وفي غيره من كتبه ما أكون به قد حققت الهدف من كتابي هذا. وهو الانتصار لما أوحاه الله في محتواه الأصلي لرسله كلهم في كتب دياناته كلها، انتصاراً للحق والحقيقة وانتصارًا للحق والحقيقة فيها بدءًا وختامًا .

obeikan.com

نبذة عن المؤلف

* ولد في بني سويف من محافظات مصر عام ١٩٣٨م وعاش في القاهرة.

* حصل على الثانوية العامة الإنجليزية (GCE) من كلية فكيتوريا بالقاهرة (VICTORIA COLLEGE) عام ١٩٥٤م، ثم حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٥٩.

* تلقى محاضرات الدراسات العليا بقسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة والمعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة.

* دورة في المعهد الاستراتيجي بالقاهرة.

* دورة في أكاديمية ناصر للعلوم الاستراتيجية.

* حاضر في المعهد الدبلوماسي عن دولة الفاتيكان وتلقى بالمعهد دورة تحضرية لمنصب السفير.

* التحق بمدرسة الإمام محمد ماضي أبو العزائم الصوفية الجامعة بين الشريعة الإسلامية والحقيقة الروحية وخلالها تأسس بنيانه الديني الإسلامي واتسعت ثقافته الدينية العلمية والصوفية.

* عمل في سفارات مصر في البرازيل والسودان والسعودية وماليزيا وكوريا الديمقراطية الشعبية (الشمالية)، وقنصلاً لمصر في جدة ونيويورك، ثم سفيراً لمصر في ماليزيا وسلطنة بروناي وكوريا الديمقراطية الشعبية.

* اتصل عبر عمله في السلك الدبلوماسي المصري في الخارج بالثقافات المختلفة ومكنته إجادة اللغات الأجنبية خاصة الإنجليزية، كسب خبرات

الاحتكاك بهذه الثقافات في البلاد التي عمل بها أو زارها.

* حاصل على وسام الاستحقاق في مصر في عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات وعلى أكبر وسام من اللجنة المركزية الشعبية للحزب في كوريا الديمقراطية الشعبية.

* شارك في برنامج دولي ثقافي بماليزيا قدم خلاله معارف إسلامية وشعراً عن فلسطين وشعبها.

* جده لوالدته فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد العباس المهدي شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية الأسبق.

* له العديد من المؤلفات الإسلامية ذات نهج يجمع بين الدين والعلوم الحديثة والتوجه الصوفي الروحي.

obeikan.com